لماذا لا يقدّم حزب الله خدمة للبنان أيضا؟

متى اقتنع "حزب الله" بان التنازل للدولة اللبنانية بطولة، يسهل عليه أتخاذ قرار جريء بتسليم الأسيرين الأسرائيليين ألى الحكومة اللبنانية تمهيداً للتوصلّ ألى وقف لأطلاق النار يبدو لبنان في أشدّ الحاجة أليه. في النهاية لا يمكن أعتبار التنازل للدولة اللبنانية تنازلاً بمقدار ما أنّه خدمة تؤدى للبنان واللبنانيين في ضوء الخسائر التي حلّت بالبلد الذي صار "منكوباً" على حدّ تعبير رئيس مجلس الوزراء السيّد فؤاد السنيورة.

في النهاية أيضاً، يفترض في "حزب الله" أدراك أن لبنان أمام خيارين لا ثالث لهما. أما تستمرّ الحرب عليه، وهي أتّخذت شكل عدوان همجي مكشوف يلقى للأسف غطاء دولياً... وأما يقبل الشروط الدولية التي بات متعارفاً عليها لوقف النار تمهيداً للتوصل ألى ترتيبات جديدة في الجنوب اللبناني تختلف كلّياً عن تلك التي كان معمولاً بها قبل الثاني عشر من الشهر الجاري تاريخ عملية أسر الجنديين الأسرائيليين على يد عناصر من "حزب الله".

كلّما سارع "حزب الله" في أتخاذ خطوة شجاعة تقضي بتسليم الأسيرين ألى الحكومة اللبنانية، كلّما عجّل في وضع حدّ للمحنة التي دخل فيها لبنان، علماً بأن السؤال الأساسي المطروح يظلّ هل يمتلك الحزب حريّة أتخاذ مثل هذا القرار؟ أم أنّ القرار يعود ألى طهران وألى دمشق ألى حدّ ما؟ أليس الشعور بأنّ الحزب مقيّد أقليمياً هو الذي دفع مسؤولي النظام السوري، عشية أنعقاد مؤتمر روما، ألى أبداء استعدادهم المفاجئ للدخول في مفاوضات مع الأدارة الأميركية وكأنهم يريدون القول بصوت واحد أن "حزب الله" لا يعمل سوى لمصلحة دمشق. أكثر من ذلك، بدت الأستعدادات السورية للدخول في حوار مع الأميركيين أقرب ما تكون ألى رسالة فحواها أنّه اذا كان هناك من يمكنه قطف ثمار أسر الجنديين، فأنّ الجهة المؤهلة لذلك هي النظام السوري أولاً. هذا النظام الذي لديه حسابات يريد تصفيتها مع لبنان واللبنانيين والذي لا يزال يرفض تصديق أنّه خرج عسكرياً من لبنان. هذا النظام الذي يعتبر بعض اللبنانيين بمن فيهم قادة "حزب الله" أن تفاوضه مع الأميركيين في شأن صفقة على حساب لبنان عمل وطني فيما سعي لبنان ألى الأستعانة بالقوة العظمى الوحيدة في العالم لدرء العدوان الأسرائيلي خيانة ليس ألاّ. أليس ذلك من سخريات القدر ومن المزايدات التي يفترض ألاّ تنطلي على أحد؟

خيرالله خيرالله

ما يفوت "حزب الله" أنّ أسرائيل مهتمة قبل كلّ شيء بالأنتقام من لبنان واللبنانيين والقضاء على المحاولة الجدية الوحيدة التي جرت في السنوات الثلاثين الأخيرة لأعادة لبنان ألى خريطة المنطقة والعالم. حصل ذلك بفضل مشروع الأنماء والأعمار الذي نفّذه الرئيس الشهيد رفيق الحريري. والمؤسف أن "حزب الله" بخطفه الجنديين من داخل الأراضي الأسرائيلية في منطقة غير متنازع عليها، وفّر لها الفرصة لتنفيذ عملية الأنتقام التي كانت تعدّ لها منذ فترة طويلة. نعم أن "حزب الله" على حقّ عندما يقول أن أسرائيل كانت تعدّ لعملية عسكرية في لبنان... وهذا الأمر كان يفرض عليه العمل ألى تفادي هذه العملية بدل أيجاد مبرر لها!

بمنتهى الصراحة، لعب "حزب الله" دوراً كان عليه أن يفكّر طويلاً قبل قبوله به. وهذا ما يطرح مجدّداً السؤال الذي سبق طرحه عن مدى هامش الحرية الذي يتمتع به الحزب تجاه المحور الأيراني– السوري الذي يبدو مصراً على أستخدام لبنان "ساحة" في لعبة التجاذبات الأقليمية والدولية من دون أي أخذ في الأعتبار لمصلحة لبنان واللبنانيين.

على الرغم من كلّ ما حصل، وضع اللبنانيون قضية أسر الجنديين والظروف التي رافقتها خلفهم، ووقفوا صفّاً واحداً في مواجهة العدوان الأسرائيلي. لقد أظهر الشعب اللبناني بكل مكوّناته أنّه مصمم على مواجهة العدوان الأسرائيلي وأنّه يدرك أن أسرائيل عدوّ بكلّ معنى الكلمة. من هذا المنطلق، من حقّ اللبنانيين مطالبة "حزب الله" بالتوقف عن العبث بلبنان. ومن حق اللبنانيين أيضاً السعي ألى أقناع "حزب الله" بأن من مصلحته قبول الطرح الدولي الذي يصرّ على رفض العودة ألى الوضع الذي كان سائداً في جنوب لبنان قبل الثاني عشر من الشهر الجاري. تلك مرحلة أنتهت، وكلّما كان هناك ألتفاف حول الحكومة اللبنانية، سهل عليها التوصلّ ألى وقف للنار بشروط أفضل للبنان واللبنانيين. المهم بالنسبة ألى المجتمع الدولي الذي لا يريد ترك أسرائيل تدمر لبنان، أن يسود الهدوء جنوب لبنان وأن ينتشر الجيش اللبناني في المنطقة وأن يلقى دعماً من قوة دولية. أين العيب في ذلك،أين العيب في مساعدة المجتمع الدولي في منع أسرائيل من تنفيذ مخططاتها في لبنان؟ هل الوطنية أن يصل لبنان ألى وضع يعرض فيه النظام السوري خدماته على الأدارة الأميركية بحجة أنه يسعى ألى أنقاذ البلد "الشقيق" وأنّه قادر على تهدئة الأوضاع فيه وتحقيق تسوية؟ هل الوطنية في أن تكون جبهة الجنوب مفتوحة على كلّ الأحتمالات فيما ينتشر المراقبون الدوليون في الجولان المحتل داخل الأراضي السورية وليس على الحدود الدولية المفترضة بين البلدين؟ آن أوان القول لـ"حزب الله" أنه يستطيع أيضاً تقديم خدمة ألى لبنان بعدما قدم ما فيه الكفاية للنظامين في سوريا وأيران. لماذا لا يقدّم "حزب الله" خدمة للبنان أيضاً؟

غزوة لندن.. مَنْ يُصدّق مَنْ؟

أحمد الحبيشي

قبل أسبوعين ونيف تقريباً زار بريطانيا وفد من أحزاب المعارضة المنضوية في إطار " اللقاء المشترك " وضم الوفد كلاً من الأستاذ أبوبكر باذيب عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني والأستاذ محمد قحطان مسؤول دائرة الشؤون السياسية في الأمانة العامة لحزب التجمع اليمني للإصلاح .

الثابت أنّ الحزب الاشتراكي اليمني يمثل برصيده وتاريخه وآفاقه (المفترضة) يسار العملية السياسية والحياة الفكرية والثقافية الجارية في البلاد ، فيما يصعب علينا تصديق أنّ حزب الإصلاح يتخذ له موقعا في يسار هذه العملية .

واللافت للنظر أنّ الأستاذ محمد قحطان أدلى بتصريحات وأحاديث صحفية كان فيها بارعا في الظهور متقدماً على يسار الأستاذ أبوبكر باذيب الذي ظهر وكأنّه يقف على يمين الأستاذ قحطان وليس على يساره ، وهو ما يبدو ان الحزب الاشتراكي اليمني يرغب في الوصول اليه منذ التصريح المثير للجدل الذي اطلقه سيف صائل خالد الامين العام المساعد للحزب الاشتراكي اليمني واحتفت به صحيفة ((الثوري)) لسان حال الحزب الاشتراكي اليمني في صدر صفحتها الاولى قبل عامين حين اتهم سيف صائل سياسات المؤتمر الشعبي العام بانها اوصلت البلاد الى مأزق حاد و نفق مظلم ، مؤكداً بأنه لا يمكن تخليص البلاد من هذا الوضع الا بتطبيق الاسلام عقيدة وشريعة !!

بوسعي القول ان غزوة ((اللقاء المشترك)) الإعلامية لعاصمة الضباب وما رافقها من ضجيج اعلامي من قبل ماكنته الدعائية المشتركة ، لا يمكن فصلها عن المعارك التي تخوضها القيادة الاعلامية لأحزاب اللقاء المشترك في جبهة ((الإعلام والعلاقات العامة)) ، ممثلة بالأستاذ محمد قحطان رئيس دائرة الشؤون السياسية والعلاقات الخارجية و الزملاء الأعزاء في صحيفة "الصحوة" وصحيفة " الناس" و"الصحوة نت" و " العاصمة " وكتابها الذين يشاركون أحزابهم في خوض معارك صوتية دفاعاً عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني ونزاهة الانتخابات ، فيما يواصل شيوخ ((اللقاء المشترك)) ونوابه في البرلمان ـ ومعظمهم من خطباء المساجد ـ معاركهم ضد المرأة ومعاداتهم لحقوقها المدنية والسياسية وحربهم الضروس ضد الفنون والموسيقى ، ويطالبون بصوت عالٍ لا لبس فيه بحبس المرأة في المنزل والتمييز ضدها !!

تذكرني تصريحات الأستاذ محمد قحطان التي أطلقها من لندن قبل أسبوعين حول الديمقراطية وحقوق المرأة والإنسان ، بتصريحات في الاتجاه المعاكس أطلقها رئيس مجلس شورى اكبر أحزاب اللقاء المشترك من لندن أيضاً عام ٢٠٠٣ في سياق المعارك الضارية ضد المرأة عبر صفحات إحدى المجلات العربية الصادرة في عاصمة ((بلاد الفرنجة)) .. وما زالت هذه المعركة دائرة عبر منابر بعض المساجد حيث يتبارى خطباء ((اللقاء المشترك)) في الاقتداء والتأسي بسيرة نظام " طالبان" المقبور من خلال مطالبتهم بمنع المرأة عن العمل وحبسها في البيت والزعم بأنّ ذلك من أصول الدين عندهم ؟؟!!!

حين تأتي هذه الدعوة من أكبر حزب معارض في البلاد وهو الحزب الذي يقود تحالف أحزاب " اللقاء المشترك " ويسعى و" يجاهد " بشراسة من أجل الوصول إلى السلطة ، فإنّ خطراً كبيراً يهدد الديمقراطية والمجتمع ، خصوصاً عندما يتم توزيع الأدوار داخل منظومة احزاب المعارضة بين جناح يتفرغ للعلاقات العامة والإعلام بهدف تلميع الخطاب السياسي والاعلامي المعارض لدى الرأي العام اليمني والعربي والدولي والسفارات الأجنبية ، وبين جناح آخر يريد أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء ويستنسخ على أرضنا صورة سوداء لتجربة " طالبان " القبيحة والعياذ بالله !!

صحيح ان ثلاثة اعوام انقضت بين عام ٢٠٠٣ حين اتهم احد شيوخ ((اللقاء المشترك)) عبرتصريحه المنشور في مجلة (المجلة)الصادرة في لندن المرأة اليمنية بأنّها سبب البطالة في البلاد ، عارضا على الناس وصفة سحرية لمعالجة البطالة تتلخص في تسريح النساء العاملات و حبس المرأة في البيت وتوظيف الرجال العاطلين بدل النساء العاملات ، وبين عام ٢٠٠٦ الذي اطلق فيه الاستاذ محمد قحطان تصريحاته اللندنية المدافعة عن الديمقراطية وحرية الفكر وحقوق المرأة ، لكنه من الصحيح ايضا انّنا لا نعرف حتى الآن مدى قدرة الاستاذ محمد قحطان وماكنته الإعلامية على نقل افكاره من حيّز التصريحات الاعلامية الى حيّز الوثائق والسياسات والبرامج الحزبية الداخلية بعيدا عن الاختباء خلف مظلة ((اللقاء المشترك)) .

مامن شك في أن الغياب المطلق لأفكار الاستاذ محمد قحطان عن ادبيات الحزب الذي ينتمي اليه ـ وهو الحزب الذي يقود بامتياز تكتل احزاب ((اللقاء المشترك)) ـ يعني أنّ ذلك الحزب سيقدم بجرة قلم ، في حالة وصوله إلى السلطة ، على شطب المنجزات المتواضعة لكفاح المرأة اليمنية منذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وسقوط دولة الإمامة الدينية الكهنوتية التي كانت تتستر بشرعية ((حاكمية الكتاب والسنة)) ، حيث أصبحت المرأة تشتغل في العمل السياسي العام وتمارس وظائف الولاية العامة كوزيرة وسفيرة ونائبة في البرلمان وموظفة حكومية وعاملة صناعية. كما أصبحت المرأة عاملاً نشطاً في الجماعات المهنية التي تشمل الأطباء والمهندسين والمحامين والصحفيين والتجار وأساتذة الجامعات وهيئات البحث العلمي والقضاء والشرطة والأدب والفن والإعلام والتدريس والتمريض ، بالإضافة إلى دورها الإنتاجي في القطاع الهامشي مثل إنتاج المواد الغذائية والحرفية والخدمية في البيوت.. ناهيك عن ان مؤشرات عمل المرأة في الريف تشير إلى ان المرأة تعمل ساعات أطول من الرجل سواء في الحقل أو المنزل ، على الرغم من أنّ المجتمع لا يعترف بعملها هذا، نظراً لغلبة المفاهيم التي تعرّف عمل المرأة في إطار المجال الخاص بينما يتم تعريف عمل الرجل في إطار المجال العام.

ولأنّ الذكرى تنفع المؤمنين ، فمن واجبنا أن نتذكر إحدى محاولات الاختباء خلف مظلة احزاب ((اللقاء المشترك)) ، عندما عقدت نخبة تمثل عدداً من القيادات الحزبية المعارضة وبعض الشخصيات الاجتماعية والإعلامية اجتماعاً في مقر الحزب الاشتراكي اليمني بالعاصمة صنعاء قبل عامين تحت اسم " اللقاء الوطني لمتابعة حادث اغتيال الشهيد جار الله عمر " حيث دشن ذلك الاجتماع مقدمة لفعاليات وبيانات ومقالات " مشتركة " في مختلف المنابر الإعلامية لأحزاب " اللقاء المشترك " ، وكان الهدف المحوري لكل تلك المناشط هو الالتفاف على محاكمة قاتل الشهيد جار الله عمر بذرائع مموهة استهدفت الضغط على القضاء لإيقاف محاكمته وعدم إصدار حكم قضائي بحقه جراء جريمته التي اعترف بها ودافع عن منطلقاتها وأهدافها . و قد كان للاستاذ محمد قحطان من حزب الإصلاح والدكتورمحمد المخلافي من الحزب الاشتراكي نصيب الأسد في تلك المناشط التي طالبت بايقاف محاكمة قاتل جار الله عمر !!!!

لا يحتاج أيّ عاقل سبق له ان تابع تلك الفعاليات إلى جهد كي يدرك أنّ ما كان مطلوبا من قبل البيانات والمقالات التي أطلقتها ماكنة اعلام احزاب ((اللقاء المشترك)) بشأن المطالبة بايقاف محاكمة قاتل جار الله عمر هو تبرير الالتفاف على المحاكمة التي كانت تجري للقاتل ، والضغط على القضاء، باتجاه عدم إصدار حكم يدين القاتل ، والمطالبة بإبقائه في السجن فترة طويلة تفتح المجال لاتهام السلطات في وقت لاحق بمخالفة القوانين الخاصة بإجراءات التوقيف والضبط على ذمة قضايا جنائية وجرائم إرهابية ، وصولاً إلى الدعوة لإطلاق سراحه في نهاية المخطط؟!!

قد اكون مخطئا حين اقول ان ثمة أطرافاً معروفة في " اللقاء المشترك " حرصت على استخدام الحزب الاشتراكي كحصان طروادة بهدف إيقاف محاكمة قاتل الشهيد جار الله عمر، على نحو يتسق مع مواقفها السابقة ، إزاء المعتقلين على ذمة جرائم إرهابية سابقة ، حيث سبق لهذه الأطراف ممارسة ضغوط سياسية وإعلامية على الحكومة تحت مظلة " اللقاء المشترك " بهدف إحالة ملفاتهم إلى القضاء أو إطلاق سراحهم ، لأنّ بقاءهم في السجن والتحقيق معهم لفترة طويلة دون محاكمة يتعارضان مع القوانين التي تنظم إجراءات الضبط والتوقيف على ذمة أفعال خارجة عن القانون!!

من نافل القول أنّ اغتيال الشهيد جار الله عمر جريمة إرهابية لا يجوز فصلها عن ثقافة التطرف والتعصب التي تمنح المنفعلين بها إرادة القتل العمد ، وتبرر لهم تصفية من يخالفهم في الرأي والفكر والمعتقد ، الأمر الذي اضطرني حينها الى نقد تلك الفعاليات الاحتجاجية التي سعت الى ايقاف محاكمة قاتل الشهيد جار الله عمر بذريعة أنّ المحاكمة لا تستطيع منع أسباب القتل ، التي تهدد حياة قادة الفكر والرأي ، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ عدداً من الوجوه الحزبية والإعلامية التي شاركت في تنظيم الكثير من تلك الفعاليات وتدبيج العديد من البيانات و المقالات كان لها دور مشهود في الدفاع عن قاتل جار الله عمر وتنظيم حملات تضامنية معه عبر صحافة أكبر أحزاب " اللقاء المشترك " في نهاية عام ٢٠٠٠م ، حين اعتقلته الأجهزة الأمنية بتهمة تكفير قادة الدولة والمجتمع ووسائل الإعلام عبر منابر المساجد والشرائط الصوتية.. وبين أيدينا نسخ من تلك الصحف التي وصفت اعتقال القاتل آنذاك بأنّه محاولة ((لتكميم الأفواه)) ، ومصادرة حق التعبير عن الرأي وتضييق الهامش الديمقراطي"!!!

لا أبالغ حين أقول إن الذين قتلوا جار الله عمر وأطباء مستشفى جبلة وراهبات الحديدة، لم يخفوا تأثرهم بما درسوه وسمعوه في الجامعات والمعاهد التي التحقوا بها، والخطب والمحاضرات والفتاوى والشرائط الصوتية التي استمعوا إليها والكتب التي طالعوها.. وكذلك فعل ذلك الشاب الذي حاول قتل الأديب العربي والعالمي الكبير نجيب محفوظ لمجرد أنّه سمع أحد الدعاة يتهم ضحيته بالكفر رغم أنّه لم يقرأ كتاباً أو سطراً واحداً لنجيب محفوظ.. ولن نستغرب أن يقوم معتوه آخر بتهديد حياة النساء المشاركات في الهيئات البرلمانية والحزبية، لأنّ أحد شيوخ ((اللقاء المشترك)) يعارض مشاركة المرأة في عضوية البرلمان والهيئات الحزبية ، ويدعو إلى منعها من العمل وحبسها في البيت، بذريعة أنّ عملها الاقتصادي والاجتماعي ونشاطها السياسي يخالفان أصلاً معلوماً في الدين ، ويهددان بوقوع معصية الخلوة غير الشرعية بين الرجل والمرأة تحت سقف البرلمان أو المصنع أو داخل اجتماعات الهيئات الحزبية!!!

وحين نسمع على لسان الاستاذ محمد قحطان كلاما في لندن يجعله على يسار الحزب الاشتراكي اليمني والاستاذ أبوبكر باذيب على وجه التحديد فاننا نسمع ونقرأ ـ في اليمن ـ الكثير من الافكار والاراء والخطب التي تسير في اتجاه معاكس ، الأمر الذي يضع على السطح اسئلة حائرة يصعب التغطية عليها من خلال استخدام ((اللقاء المشترك)) كشكل من اشكال العلاقات العامة في بيئة سياسية مثقلة بالتناقضات ومحكومة بارث المناورات وملتبسة بصراع الارادات الداخلية والخارجية .

يبقى القول أن مشكلة احزاب ((اللقاء المشترك)) تتجسد في حقيقة انها تتبنى خطابا ديمقراطيا في صحافتها و تقول كلاماً معسولا في مؤتمراتها الصحفية ، وتحاول الظهور بوجه جميل امام سفراء وممثلي الدول والمنظمات المانحة .. لكن الذين يقودون هذه الاحزاب ويتحكمون بمصادر اتخاذ القرار ورسم السياسات يقولون شيئا آخر .. فمن نصدق ؟

نقلا عن / صحيفة (٢٦ سبتمبر)

الشرق الأوسط الجديد: كيف يطرأ جديد على المفهوم القديم؟

صبحي حديدي

حين شاء الرئيس الامريكي جورج بوش الانحناء أمام الإلهام الربّاني الذي راوده وأراده (وعلي ذمّته: كلّفه) أن يجتثّ شرور الشرق الأوسط من جذورها، وأن يرسل سعادة الحرّية وقوت الديمقراطية إلي شعوب المنطقة البائسة الجائعة، فإنّ أوّل خطوة خطاها بوش علي درب تلك الحملة الصليبية الخيّرة كانت قراءة كتاب السياسي الإسرائيلي والمنشقّ السوفييتي السابق ناتان شارانسكي حجّة الديمقراطية: جبروت الحرّية في التغلّب علي الطغيان والإرهاب . ولعلّ بوش لم يجد في الأمر أية مفارقة أخلاقية، من نوع نصح المقهور باعتماد فلسفة القاهر، بل رأي العكس تماماً وعلي مبدأ: داوها بالتي كانت هي الداء!

.واليوم حين ترطن وزيرة الخارجية الأمريكية عن شرق أوسط جديد ، وفي الآن ذاته لا تكتفي بصمّ آذان الإدارة عن البربرية الإسرائيلية في سائر لبنان، بل تشجّع علي المضيّ أبعد في الهمجية وأسرع في التدمير، هل يدهشنا أنّ مشروعها الجديد هذا ليس سوي طبعة متأخرة ـ لكي لا نقول: نسخة الكربون ـ من ذلك الشرق الأوسط الجديد الذي حلم به شمعون بيريس: رؤيوي السلام، وحامل ثلث نوبل السلام، وجزّار قانا، ومجرم حرب عملية أعناب الغضب ... هنا، في جنوب لبنان ذاته؟ الطريف، إلي هذا، أنّ المرء لا يكاد يأتي بجديد حين يستعيد الدائرة المغلقة التي تصنعها جدلية رسوخ القديم، وربما العتيق المتآكل المستهلَك، في كلّ تفكير أمريكي جديد حول شرق أوسط جديد!

ومن جانب آخر، ما الفارق بين هذا الشرق الأوسط الجديد، المرتجي، وذاك الذي كان حجر الأساس في ما أسماه الرئيس الأمريكي الاسبق جورج بوش الأب النظام الدولي الجديد ، عشية عمليات درع الصحراء و عاصفة الصحراء ومؤتمر مدريد حول السلام العربي ـ الإسرائيلي؟ وفي صياغة أخري: هل طُوي ذلك النظام؟ وإذا صحّ أنه طوي، فهل لأنّ النظام استنفد أغراضه جمعاء، ام لأنه لم يستنفد منها قسط الحدّ الأدني، فكان محتماً أن يتآكل ويهتريء ويتفكك ذاتياً؟ وبالطبع، لا مناص من الصياغة الثالثة للسؤال ذاته: لماذا يتوجب أن تنجح وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس، بالتكافل والتضامن مع فريق إدارة بوش وجمهرة المحافظين الجدد مجتمعين، في تحقيق نظام شرق أوسطي جديد فشل في تحقيقه وزراء خارجية أمريكيون سابقون من أمثال جيمس بيكر، وارن كريستوفر، مادلين ألبرايت، وكولن باول؟

ليست هذه الأسئلة ميكانيكية، أو حتي مدرسية ومن قبيل تحصيل الحاصل، إلا عند الذين يعتقدون أنّ السياسات الأمريكية الكبري، بصدد الشرق الأوسط تحديداً، يمكن أن تشهد طفرات حاسمة بمثابة منعطفات جوهرية، أو تبدّلات تكوينية بمثابة انقلابات رأساً علي عقب، أو ما أشبه وكان منها مدانياً. وعلي سبيل المثال، هؤلاء أوّل من ستصيبهم الصدمة ويأخذهم الروع إذا اكتشفوا أنّ اقتداء الرئيس بوش بديمقراطية شارانسكي، فضلاً عن جميع استلهاماته الربانية حول الخير والشرّ، تطوي اليوم (حتي قبل أن تتجسد بأيّ معني واقعي فعلي عملي) بلسان الوزيرة رايس، وطيّ تبشيرها بشرق أوسط جديد. وهؤلاء، في المقام الثاني، أوّل خائبي الرجاء من ذلك اللغط الأمريكي الذي تعالي عشية غزو أفغانستان والإعداد لغزو العراق، حين أشاع البيت الأبيض أنه بصدد الانتقال من سياسة عقد صفقات التسوية مع أنظمة الاستبداد بذريعة ترجيح مبدأ الاستقرار حتي علي حساب الشعوب، إلي سياسة الانفتاح علي الشعوب البائسة ذاتها وتزويدها بمختلف الصادرات الديمقراطية، شاءت الشعوب استهلاك تلك الصادرات أم أبت!

ولأنّ إيران الراهنة تبدو عاملاً أساسياً، إذا لم تكن العامل الرئيسي والأكبر، في هذا التخطيط الأمريكي لاستئناف شرق أوسط قديم، تحت مسمي الجديد القديم بدوره، فإنّ ما يشهده لبنان اليوم من بربرية إسرائيلية ليس منقطع الصلة عن تلك الحرب الإيرانية ـ الأمريكية التي تتكدس عوامل اندلاعها يوماً بعد يوم. وبهذا المعني يفهم المرء سخط بعض الساسة الإسرائيليين لأنّ الدولة العبرية تبدو وكأنها، في قتال حزب الله ، إنما تقاتل بالنيابة عن الولايات المتحدة، أو تخوض بالتفويض حرب البيت الأبيض ضدّ آيات الله الإيرانيين... في العراق! ولكن لأنّ إيران ليست جمعية خيرية لإغاثة المستضعفين في الأرض، وتسليحها النوعيّ العالي لـ حزب الله ، كما يكتشف بعضهم اليوم ليس دون انبهار وعجب، أشبه بتسليحها لجيوشها الوطنية دون كبير نقصان، فإنّ آيات الله يسعون بدورهم إلي أن تكون معركة حزب الله ضدّ الاحتلال الإسرائيلي هي في الآن ذاته امتداد لمعاركهم ضدّ واشنطن. وتلك، كما هو معروف، ليست معركة تخصيب اليورانيوم وحدها، ولا معارك تصدير الديمقراطية إلي إيران فحسب، بل معارك قوس الإسلام العريض كما تسعي طهران إلي إعادة رسمه بما يكفل تحويله إلي ساحة استراتيجيات متصارعة.

المثير، لأننا نظلّ في الحقل التاريخي والدلالي لحكاية الجديد/ القديم هذه، أنّ الشطر الإيراني من تفاصيل مفهوم رايس عن الشرق الأوسط الجديد قد يكون محض طبعة جديدة ـ وإنْ مبتذلة تماماً ـ من النظرية العتيقة الشهيرة حول الإحتواء المزدوج، الآن إذ يبدو عراق ما بعد صدّام حسين وكأنه جدير بطراز من الاحتواء لا يقلّ ردعاً عن عراق صدّام حسين، أو أشد ربما! و نتذكّر علي الفور أن حصاد مفهوم الإحتواء المزدوج ظلّ يعتمد علي أكثر من حرث وبذر واستنبات، ولكن الغلال ذاتها بقيت أسيرة المجهول، أو مستنقعات الوحول. لكنّ المفهوم كان جذاباً علي الدوام، ولهذا تراخي وتمطي واتسع حتي اختلط في نطاقه الحابل بالنابل، وأضطرّ صاحبه الاصلّي (مارتن إنديك) إلي مراجعته مراراً، وإلي تسليحه بأسنان قاطعة حولها بعض المحافظين الجدد إلي حملات صليبية مستدامة.

وحين شاءت إدارة كلينتون فتح حوار مع طهران، صيف ١٩٩٨ وبعد محاق مفهوم الردع المزدوج علي يد أولبرايت وأنتوني ليك مستشار الأمن القومي الأسبق، كان البيت الأبيض يسعي ضمناً إلي اختراق قوس الإسلام الافتراضي ذاك، من خلال نزوع الرئيس الإيراني الإصلاحي محمد خاتمي إلي الحوار. آنذاك أطلقت أولبرايت تلك العبارة الشهيرة: واضح أن عقدين من انعدام الثقة لا يمكن محوهما في ليلة وضحاها. الهوّة بيننا ما تزال واسعة. ولكن الوقت قد حان لاختبار إمكانيات جسر الهوّة . و بيننا هذه كانت تعني الإدارة الأمريكية والحكومة الإيرانية، وتعني في المدلول اللغوي المباشر إمكانية قيام حوار بين فريقين يتحاوران بوصفهما اثنين علي وجه الدقة، وليس بوصف واحدهما دولة عظمي قيمة علي قيم الإنسانية وشرطية حارسة لأمنها واستقرارها، وثانيهما دولة رجيمة مشاغبة ضد تلك القيم وراعية للإرهاب ومصدرة للثورة.

ولقد توفرت إسهامات صامتة، أو مكتومة، من مستشار الأمن القومي آنذاك ساندي بيرغر، الذي امتدح ميل الرئيس الإيراني إلي الاعتدال والحوار، وذمّ ميل خصومه إلي التشدد والخصام. كما توفرت إسهامات أخري صاخبة صائتة من بروس ريدل المسؤول آنذاك عن ملفّ إيران في مجلس الأمن القومي، الذي كان يصبّ دلواً ساخناً تارة حين يذكّر إيران بمواقفها من الجماعات الاسلامية والسلام العربي ـ الاسرائيلي وبرنامج بناء الأسلحة الصاروخية، ودلواً بارداً طوراً حين يقول: ولكن إيران هي إيران أيها السادة، بموقعها ودورها وماضيها وحاضرها، بتطوراتها الحبلي! ومع ذلك فإنّ الحوار لم يسفر عن تجسيد أيّ من معنييْ مفردة بيننا تلك، وانتهي إلي فشل ذريع لعلّ أبرز نتائجه كانت إضعاف خاتمي وفريقه، وتمهيد الأرض لمجيء أمثال أحمدي نجاد.

كيف يمكن لشرق أوسط جديد، يولد بالضرورة من رحم القديم كما للمرء أن ينتظر منطقياً، أن يستوعب إيران الراهنة، وبأيّ الوسائل: الحرب، أم السلام؟ التسويات، حتي علي حساب عذابات الآخرين وفي باحاتهم، أم المجابهة؟ في قُم وطهران، أم في كربلاء وبنت جبيل؟ هذه، علي الأرجح، ليست أسئلة كوندوليزا رايس وحدها، بل هي كذلك أسئلة أصحاب القرار الأعلي في طهران (مرشد الثورة الإسلامية آية الله علي خامنئي أولاً، ولكن ليس أحمدي نجاد ثانياً بالضرورة!)، وأسئلة بعض الحكام العرب الذين ستصيبهم مكرمة ـ أو شظية... حسب واقع الحال! ـ إذا ما انخرطوا في تصنيع هكذا شرق أوسط جديد.

الثابت، ريثما تتضح الإجابات، أنّ كوندوليزا رايس تستعير من شمعون بيريس، في كتابه الشرق الأوسط الجديد ، ١٩٩٣، الحلم باتحاد شرق ـ أوسطي علي غرار الإتحاد الأوروبي، ولكنها مثله لا تكترث بالحقائق الدامية علي الأرض قدر اكتراثها بالكيمياء التي تقلب الكابوس الأسود إلي حلم وردي. وإذا كان قد أبدي استعداده للتضحية بأغلي الصور علي قلوب الإسرائيليين الأوائل (صورة المقاتل الذي يحتضن رشاش آل عوزي وسط حقل الشعير أو بيارة البرتقال)، فإنّ رايس تريد عكس الصورة تماماً: الغارات الإسرائيلية الهمجية علي بيروت وصيدا وصور والنبطية.

ولأنّ بيريس يعتبر الاستيطان في الجولان أمراً أقلّ مغزي (أي أعلي شرعية) من الاستيطان في الضفة الغربية (يهودا والسامرة، في عبارته)، فإنّ نسخته الخاصة من الشرق الأوسط الجديد لا تمتّ بصلة إلي الحقّ السوري في الجولان المحتلّ، وليس لهذا أية عاقبة علي فلسفة تسعي إلي سحب نصف قرن من عمر دولة غاصبة (إسرائيل) علي عدد من القرون (هي عمر الشرق الأوسط، القديم والحديث) يُراد لها أن تكون الزمن الوحيد لهذه الواحة الافتراضية التي تمتد من البحر الأحمر إلي البحر الميت. لها كذلك، هذه الدولة الغاصبة ذاتها، أن تخفي خيوط الحرير طيّ كتل الفولاذ القاذفة للهب، وأن تطمس أكبر قدر متاح من الدماء والجثث والقري والأوطان والتواريخ.

وقبل سنوات من حيازته لقب رؤيوي السلام ، كان شمعون بيريس قد تنبأ بأن الشرق الأوسط سيكون أمام احتمالين: سيناريو علي الطريقة الشكسبيرية حيث يفني الجميع في النهاية، وسيناريو علي الطريقة التشيخوفية حيث يظلّ الجميع علي قيد الحياة، ولكنهم أقرب إلي الأموات منهم إلي الأحياء. فإذا جاز أن وزيرة الخارجية الأمريكية استهدت به في اختلاق شرق أوسط جديد، فأيّ سيناريو تعيش المنطقة هذه الأيام؟ لا هذا ولا ذاك، لأنّ بيريس ليس في قلب الحكومة التي تشنّ الحرب البربرية علي لبنان فحسب، بل هو كما كان علي الدوام: مهندس الخراب وقيثارة الجنرالات وشاعر حروب اسرائيل، ونبيّ التكنولوجيا النووية.

الجديد أنه لم يكن أقلّ شأناً من ناتان شارانسكي في تطوير عقول نساء، بعد رجال، البيت الأبيض!

عن / (القدس العربي)

الدبلوماسية الفاشلة لكوندليزا رايس

باتريك سيل

بعد تجاهل للحرب طوال اسبوعين قامت أخيراً كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأميركية بزيارة للبنان واسرائيل وشاركت في المؤتمر الدولي في روما حول الحرب على لبنان.ومن المؤسف انها في كل ما فعلته في المحطات الثلاث كان الخطأ حليفها. لكن يمكن القول ان الذنب ليس ذنبها فهي مكلفة خدمة سياسة مضللة هي سياسة أميركا الخارجية.

ولعل الخطأ الأول والأهم الذي ارتكبته يكمن لا في اصرارها على وقف فوري لاطلاق النار بل في قولها انها تنتظر توفر الشروط «المواتية». إذ قالت ان وقف اطلاق النار لا معنى له إذا كان يؤدي الى الوضع السابق للمجابهة بين اسرائيل و «حزب الله». فهدفها، كما تقول، هو ان تحقق تحسناً اساسياً في البيئة الاسرائيلية وفي خلق «شرق أوسط ديموقراطي جديد»، وهذا بالطبع كلام اسرائيلي ومجرد سفسطة وخيال.

وما دام اهتمام أميركا ينحصر بأمن اسرائيل ويتجاهل مصالح أطراف النزاع العربية فإن جهود رايس ستظل محكومة بالفشل.

وأما الخطأ الثاني الذي ارتكبته فهو إخفاقها في عدم دعوة «حزب الله» وسورية وايران الى اجتماع روما، إذ كيف لها ان تتوصل الى اتفاق في غياب أحد طرفي النزاع؟ أجل ان اسرائيل ايضاً غائبة، لكنها ممثلة أفضل تمثيل بأميركا، والجواب على هذا التساؤل هو ان رايس لا ترى أي مصلحة لها في التوصل الى اتفاق او في التوسط لتحقيق أي تفاهم. كل ما تريده هو ان تفرض شروطها على أعداء اسرائيل أو ان تسمح لاسرائيل بأن تتولى ذلك بالقوة الهمجية.

ولعل أبرز مثال على تناقضات السياسة الأميركية هو إسراع واشنطن بإرسال قنابل الليزر بأقصى السرعة الى اسرائيل وبمئات الملايين من الدولارات وخصصت في الوقت ذاته ٣٠ مليون دولار فقط كمساعدة انسانية للبنان. ولقد رأينا رايس تذرف دموع التماسيح على مقتل ٣٥٠ لبنانياً جلهم من المدنيين وعلى اصابة الألوف وتهجير ٧٠٠ أو ٨٠٠ ألف من سكان القرى المدمرة، في حين لم تجد أي غضاضة في الإصغاء الى ايهود اولمرت وهو ينذر بأنه سوف يتابع هجومه الضاري. وهذا الموقف وحده يدينها في نظر العالم.

وأهداف رايس المعلنة هي تأمين اطلاق سراح الجنديين الاسرائيليين الأسيرين ونزع سلاح «حزب الله» وانسحابه الى مسافة ٢٠ كيلومتراً عن حدود اسرائيل ووضع قوة دولية لتمنع اطلاق الصواريخ على اسرائيل. انها أهداف غير واقعية لأنها لا تقدم لـ «حزب الله» ومؤيديه أي سبب لقبولها. وكان يمكن لرايس ان تحقق بعض النجاح لو كانت أهدافها أكثر توازناً كما لو نادت بعقد هدنة، أي بوقف العمليات العسكرية من الجانبين للسماح بوصول المساعدات للسكان اللبنانيين المعذبين، أو لو أنها أصرت على تبادل السجناء بمن فيهم اولئك الذين يقبعون في سجون اسرائيل منذ ٣٠ سنة، أو لو انها طلبت من «حزب الله» الانسحاب من منطقة الحدود مقابل انسحاب اسرائيل من مزارع شبعا – وهي جزء من التراب اللبناني المحتل منذ ١٩٦٧ – مثل هذه المبادرات كان من شأنها أن ترسي الأسس لوقف دائم لاطلاق النار.

وأما الخطأ الثالث الذي ارتكبته رايس فهو محاولتها الاسراع في إرسال قوة دولية لتجريد «حزب الله» من سلاحه. هذا عبث وسخافة لأن قوة حفظ السلام التي تأتي من أجل حماية اسرائيل وحدها ستتعرض لهجمات من «حزب الله». وليس هنالك دولة تقبل بتعريض جنودها لمثل هذا الخطر. أما لو كانت القوة الدولية المقترحة مكلفة مهمة دعم السلام وليس حفظه فحسب فعليها عندئذ ان تحظى بالامكانات التي تردع اسرائيل و «حزب الله» على السواء، وان تكون قادرة على منع الغارات وعمليات الخطف والقتل المستهدف كما حصل ذلك مراراً في السابق، وان تطارد مئات العملاء الاسرائيليين في لبنان كخلية الاغتيالات التي اكتشفها الجيش اللبناني أخيراً وأحال أفرادها الى القضاء بتهمة العديد من الاغتيالات.

وعلى قوات دعم السلام ايضاً أن تكون لها القدرة على اسقاط الطائرات الاسرائيلية التي تخرق الأجواء اللبنانية سواء في جولات استطلاع أو في مهمات قتالية كما هي الحال منذ ٤٠ عاماً. واما اذا لم تتوافر هذه الوسائل والقدرات لقوات دعم السلام فالأفضل صرف النظر عنها.

ولعل مشكلة كوندوليزا رايس هي انها لسوء حظها ورثت سياسة اميركية خرقاء لا تستطيع تفهمها ولا تملك السلطة ولا تميل الى تغيير مسارها.

وفضلاً عن بعض عمليات عدوانية عدة وضيقة النطاق قامت إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٧٨, يومها أمرها الرئيس كارتر بالانسحاب، ففعلت لكن بعد أن أقامت منطقة أمنية تخضع لها بالواسطة. ثم عاودت احتلال لبنان عام ١٩٨٢ فقتلت ٢٠ ألف لبناني وفلسطيني وقصفت بيروت، وبدلاً من أن يأمر إسرائيل بالانسحاب الكامل كما فعل كارتر، قرر رونالد ريغان أن يتم «التفاوض» على انسحابها. ونتيجة لذلك، استمرت إسرائيل في احتلال ١٠ في المئة من التراب اللبناني بموافقة أميركية ضمنية حتى طردها «حزب الله» في عام ,٢٠٠٠

ولقد كان السماح لإسرائيل بالبقاء في جنوب لبنان طوال ٢٢ عاماً من أهم الأخطاء الأميركية وكان «حزب الله» ثمرة هذه السياسة الخرقاء. واننا نشهد اليوم وزير دفاع إسرائيل عمير بيرتس يعلن عزمه على إقامة منطقة آمنة جديدة في جنوب لبنان بمباركة أميركية. وسيقوم «حزب الله»، كما هو متوقع، بشن حرب عصابات ضد هذه المنطقة. هذه وصفة بائسة لاستمرار النزاع.

لا بد من أن يتم افهام الدكتورة رايس بأن «حزب الله» ليس منظمة إرهابية، بل هو حركة مقاومة استطاعت أن تحرر التراب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي ونذرت نفسها لحماية السكان الشيعة في جنوب لبنان من العدوان الإسرائيلي. وما دامت الدولة اللبنانية عاجزة عن الدفاع عن نفسها، فإن «حزب الله» لن يسلم سلاحه إلا عند زوال أي تهديد إسرائيلي.

والخطأ الثاني والأخطر الذي ارتكبته أميركا هو السماح لإسرائيل بأن تحتل الضفة الغربية وغزة طوال ٣٩ سنة خلافاً للقانون، وأن تقيم المستوطنات. وكانت حركة «حماس» الإسلامية هي ثمرة هذه السياسة، لذلك نرى النزاع في لبنان موحداً مع النزاع في فلسطين، فلا يمكن أن تستمر إسرائيل في قتل الفلسطينيين على جبهة – كما تفعل بمعدل ١٠ أو ١٥ قتيلاً في كل يوم – وتنتظر من الجبهة اللبنانية أن تبقى هادئة.

وأما الخطأ الأميركي الثالث فهو السماح لإسرائيل بالاستمرار في احتلال هضبة الجولان السورية منذ العام ١٩٦٧ وبإنشاء المستوطنات فيها خلافاً للقانون. وخلال قمة أميركية – سورية في جنيف في شهر آذار (مارس) عام ٢٠٠٠ كاد الرئيس كلينتون أن يتوصل الى اتفاق على الانسحاب من الجولان لكنه بتأثير من دينس روس (الذي كشف الآن عن حقيقة هويته في عمله بمعهد واشنطن الموالي لإسرائيل) امتنع عن الضغط على ايهود باراك رئيس حكومة إسرائيل آنذاك بخصوص الانسحاب التام فانهار الاتفاق. ولم تكن معارضة سياسة أميركا وإسرائيل والتحالف مع إيران سوى نتيجة لفشل أميركا في حل النزاع السوري – الإسرائيلي على أساس من العدالة والانصاف.

وتولي سورية اهتمامها الأول لاسترداد الجولان، كما أن لها مصالح حيوية في لبنان، ذلك أن أحد المبادئ الاساسية في سياستها الخارجية هو أن تمنع دولة معادية – خصوصاً إسرائيل – من الوصول الى لبنان لأن ذلك يشكل تهديداً خطيراً لأمنها القومي. ولقد سبق لأميركا أن فعلت ذلك عام ١٩٨٣ لكنها فشلت بفضل سورية وانصارها المحليين، وهي تحاول اليوم العودة من جديد الى هذه السياسة الفاشلة.

وفي سعي أميركا الى القضاء على كل اثر للنفوذ السوري في لبنان وفي تسامحها، بل وتشجيعها لإسرائيل على تدمير البلاد، إنما ترمي الى إلقاء لبنان المحطم والخانع في فلك النفوذ الإسرائيلي. وستبذل سورية كل ما في وسعها لمنع ذلك.

وقول كوندوليزا رايس إنها تريد تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الذي ينص على نزع سلاح «حزب الله» لكنها تتجاهل القرار ٢٤٢ الذي اتخذ عام ١٩٦٧ ونص على عدم شرعية احتلال الأراضي بالحرب. ولعل معظم المشاكل الراهنة في المنطقة، بما فيها الغضب والعنف والمقاومة المسلحة والإرهاب، تعود الى فشل أميركا في العمل على تطبيق هذا القرار.

والمطلوب العاجل اليوم هو جهد أميركي لحل مختلف النزاعات التي تعصف بالشرق الأوسط لا تحويرها لمصلحة إسرائيل. تقول كوندوليزا رايس إنها تريد «سلاماً قائماً على مبادئ دائمة لا على حلول موقتة»، وهذا هو في الواقع هدف رائع شرط أن يعتمد على المبادئ الصحيحة.

عن / صحيفة (الحياة)